

التّفاحة

قصة: حسن عبد الله
رسوم: سامر أسامة



السلسلة القصصية للفتيان والفتيات

صدر منها:

التّفاحة

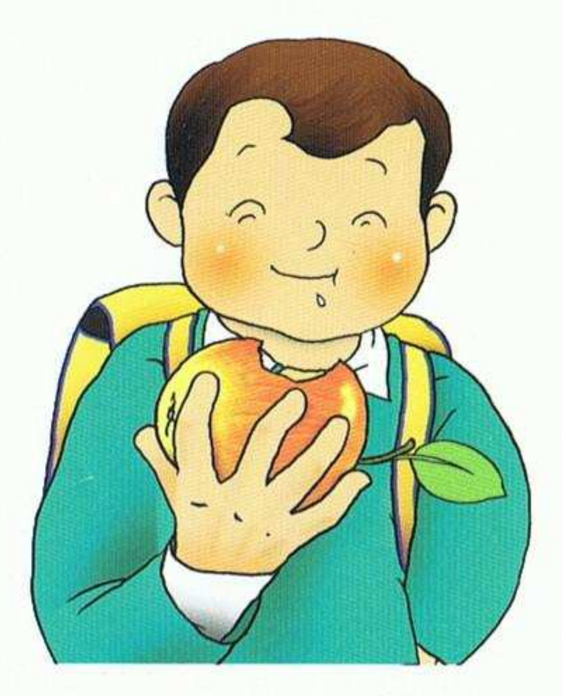


لبنان، بيروت
ص.ب: ٢٥/٢١٦
هـ: ٩٦١ ١٨٤٠٣٨٩+
ف: ٩٦١ ١ ٨٤٠٣٩٠+

www.alhadaekgroup.com
ISBN 978-9953-496-18-4



التّفاحة



قصة: حسن عبد الله

رسوم: سامر أسامة



السلسلة : القصصية للفتيان والفتيات

الكتاب : التفاحة

الفئة العمرية : 9 وما فوق

النصّ : حسن عبد الله

الرسم : سامر أسامة

التنفيذ والطباعة : مطابع دار الحدائق

الطبعة : الثانية 2010

ت.د. : ISBN 978-9953-496-18-4

ص.ب. 25/216 بيروت، لبنان هـ : 821679 1 961+ 840389 1 961+

ف :840390 1 961+ البريد الالكتروني: alhadaek@alhadaekgroup.com

كنّا نلعبُ في مَلعبِ المدرسةِ أثناءَ فُرْصَةِ الظَّهيرةِ، عِندما قَذَفَ هاني الكُرةَ بِقدمِهِ، فحلّقتْ عالياً في الفضاءِ، ثُمّ سقطَتْ في حديقةِ البيتِ المُجاورِ لمدرستِنا.

توقَّفَ اللَّعِبُ لِلَحظاتٍ، ورُحْنا نَنْظُرُ إلى بَعْضِنا بصمتٍ وحيرةٍ. فلمْ تَكُنِ المدرسةُ لِتتَسامحَ مع التّلاميذِ الّذين يُسيئونَ إلى سُكّانِ البيوتِ المُجاورةِ.

وقطعَ حسّانُ الصّمتَ فقالَ: سأذهبُ وأجيءُ بالكُرَةِ.

ثُمَّ ركضَ نَحو سورِ الحديقةِ، وتسلَّقَهُ بسُرعةٍ، وغابَ وراءَ أشجارِ التُّفّاحِ والرُّمانِ، التي كانَتْ تُطِلُّ مِنْ خَلْفِ سياجِ الحديقةِ بأغصانِها الضّاحِكَةِ الثِّمارِ.

وبعدَ مِضيِّ دقائقَ مشحونةٍ بالتّوترِ الشّديدِ، شاهدْنا حسّان يقفزُ فوقَ السّياجِ عائداً إلى الملعبِ، بعدَ أَن حَوَّلَ سُتْرَتَهُ إلى كيسٍ مملوءٍ بثمارِ التُّفاحِ!

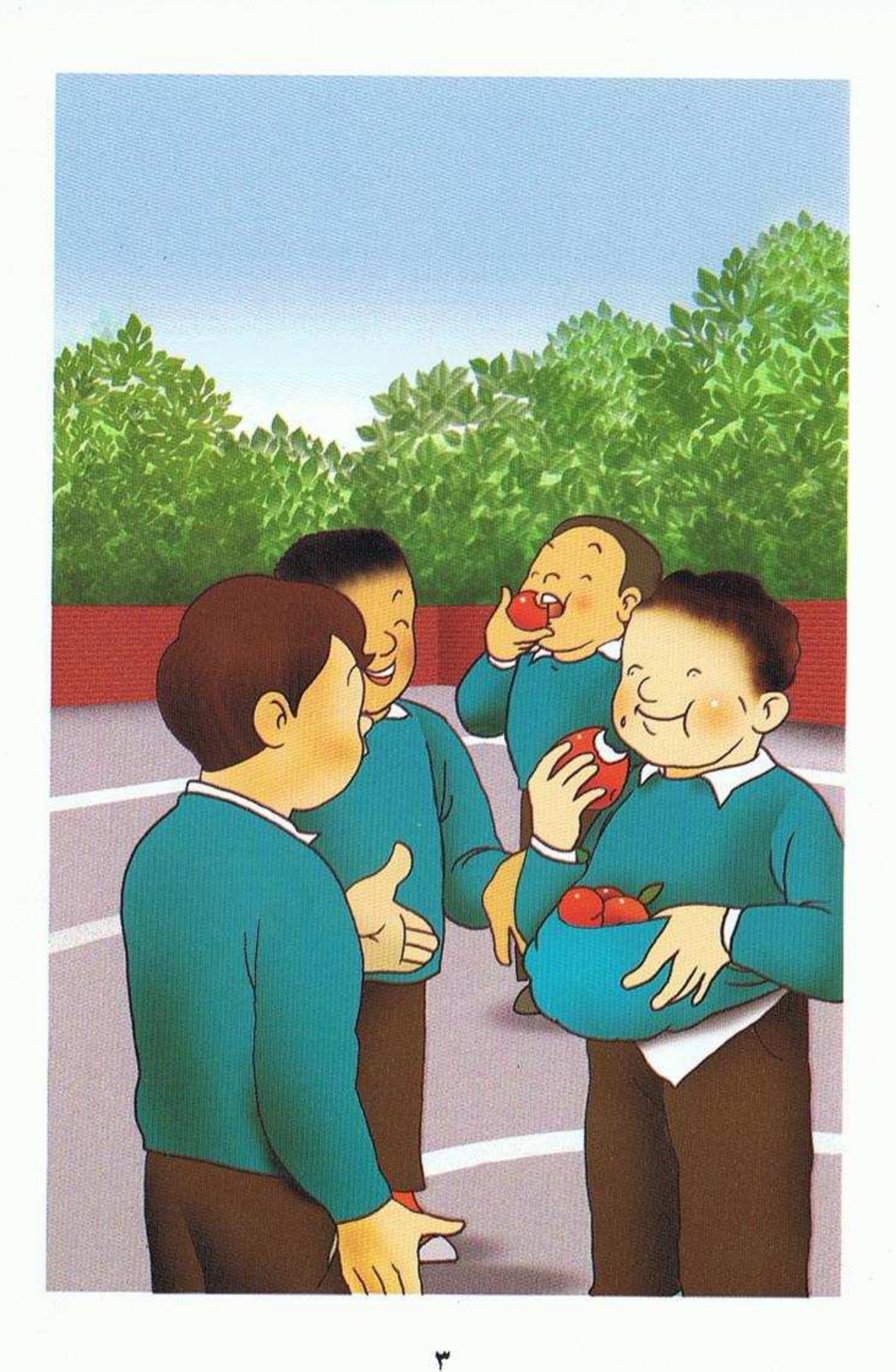
سألناهُ عن الكُرةِ، فأخبَرَنا بأنَّهُ لم يجدْها في الحديقةِ!

راحَ حسّان بعدَ ذلكَ يوزِّعُ حبّاتِ التّفاحِ على أصحابِهِ، الّذينَ أخذوا يَتَخاطفونَها ويَنْهشونَها بمرَحٍ.

ورشَقَني حسّان بتفّاحةٍ، فأعدْتُها إليهِ، وسألتُهُ: لماذا لم تُحْضِرِ الكُرَةَ معك؟

فأجابَ: بَحثْتُ عَنْها في جَميعِ أنحاءِ الحديقةِ فلَمْ أجدْها.

ولم يكدْ حسّان يُنهي كلامَهُ حتّى هَتَفَ حازم: أنا الذي سأجِدُ الكُرَةَ.



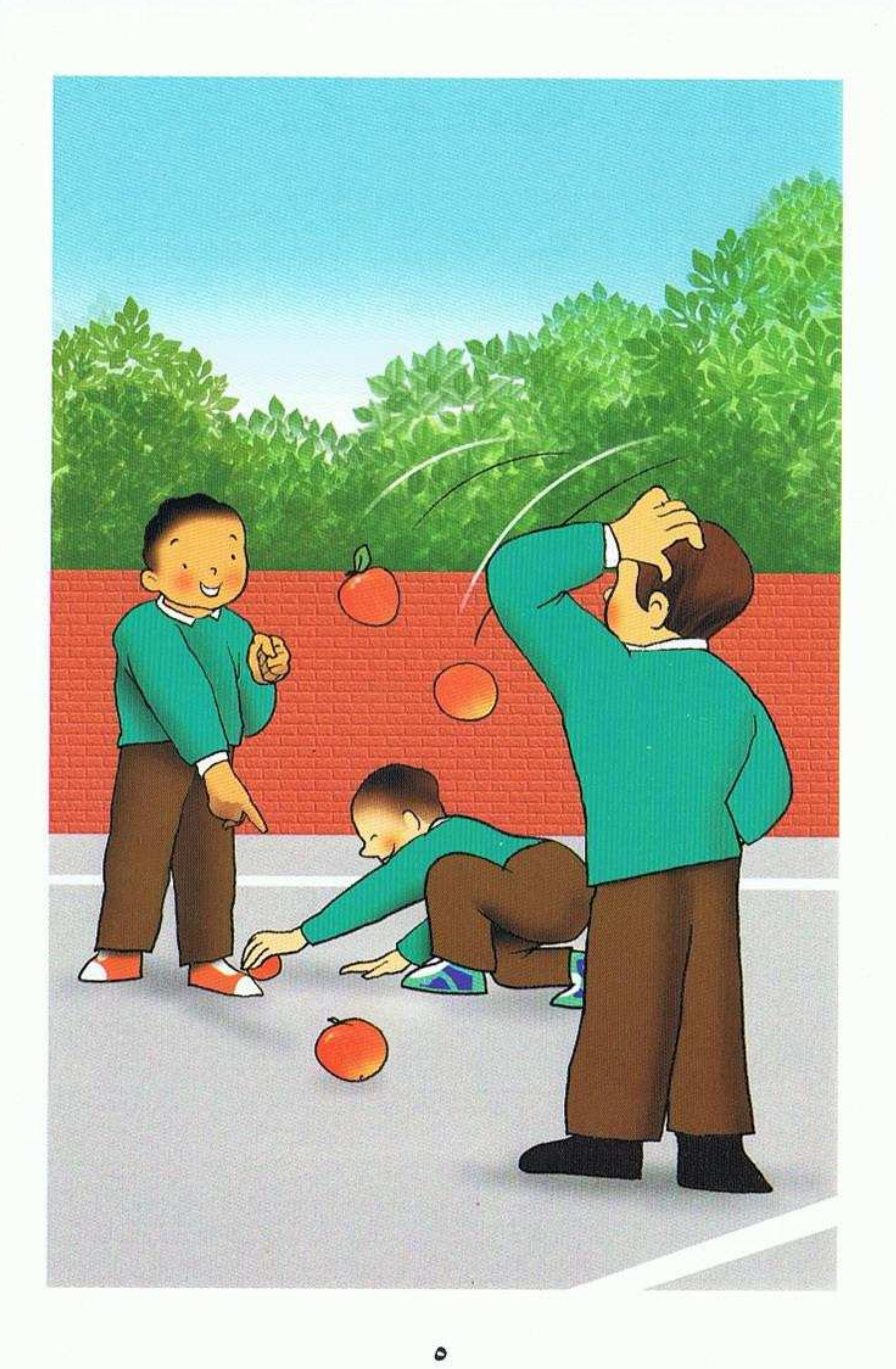
ثُمَّ ركضَ نحوَ سورِ الحديقةِ، وتَسلَّقَهُ بِخِفَّةِ السِّنجابِ، واختفى وراءَ السّياجِ، لِيعودَ بعدَ قليلٍ بما عادَ به حسَّان! والكُرةُ ليستْ معَهُ. وانشغلَ التّلاميذُ ثانيةً بتخاطفِ التُّفاحِ، ونَسوا أنَّ الكرةَ لا تزالُ في الحديقةِ..

كانَ صَديقي ناجي، الّذي يَحتلُّ المقْعَدَ المجاورَ لِمقعدي في غُرفةِ الصَّفِّ، ينظُرُ بِغضبٍ شديدٍ إلى ما يَجري في الملعبِ، وشعرتُ أنّه يوشِكُ أنْ يدخلَ في عِراكٍ معَ حسان وحازم اللذينِ ذهبا إلى الحديقةِ منْ دونِ أنْ يَعودا بالكرةِ. ومِنْ دونِ أنْ يكلِّمَ أحداً، أو ينظُرَ إلى أحدٍ، اتّجهَ ناجي نحوَ سورِ الحديقةِ بِخُطواتٍ رصينةٍ وموزونَةٍ، وتسلّقَ السّورَ بِهدوءٍ، ثُمَّ قفزَ إلى الدّاخلِ.

لم أشكَّ هذهِ المرَّةَ أنَّ ناجي سيعودُ بالكُرةِ، ويُنْهي الفَوْضى التي كانَتْ تسودُ الملعبَ.

وبعدَ مرورِ دقائقَ، وفي اللّحظةِ التي كنتُ أتطلّعُ فيها نحوَ السّورِ مُتوقِّعاً أن يظهرَ ناجي والكرةُ في يَدِهِ، حَدَثَ ما صَعَقَني دَهْشةً.. فقدْ شاهدتُ حبّاتِ التُّفاحِ تتطايرُ مِنْ وَسَطِ الحديقةِ، وتَسْقُطُ هنا وهناك في أنحاءِ الملعبِ، فَيَتَلَقَّفُها التّلاميذُ بأيديهم كما يَتَلقَّفونَ الطّاباتِ.

مكثَ التُّفاحُ يَتَساقَطُ بغزارةٍ على الملعبِ لِفترةٍ خِلْتُ مَعَها أنَّه لم يبقَ في الحديقةِ تفاحةٌ واحدةٌ على أُمِّها.



ثُمَّ صَحا الجوُّ فجأةً، ولم تَعُدِ السّماءُ تُمطرُ تُفّاحاً! وظَهرَ ناجي وهو يقفزُ عنِ السّورِ ثمّ مشى في الملعبِ، مِنْ دونِ أنْ يَذْكُرَ شيئاً عنِ الكُرةِ التي قَصَدَ الحديقةَ من أجلِ المَجيءِ بِها.

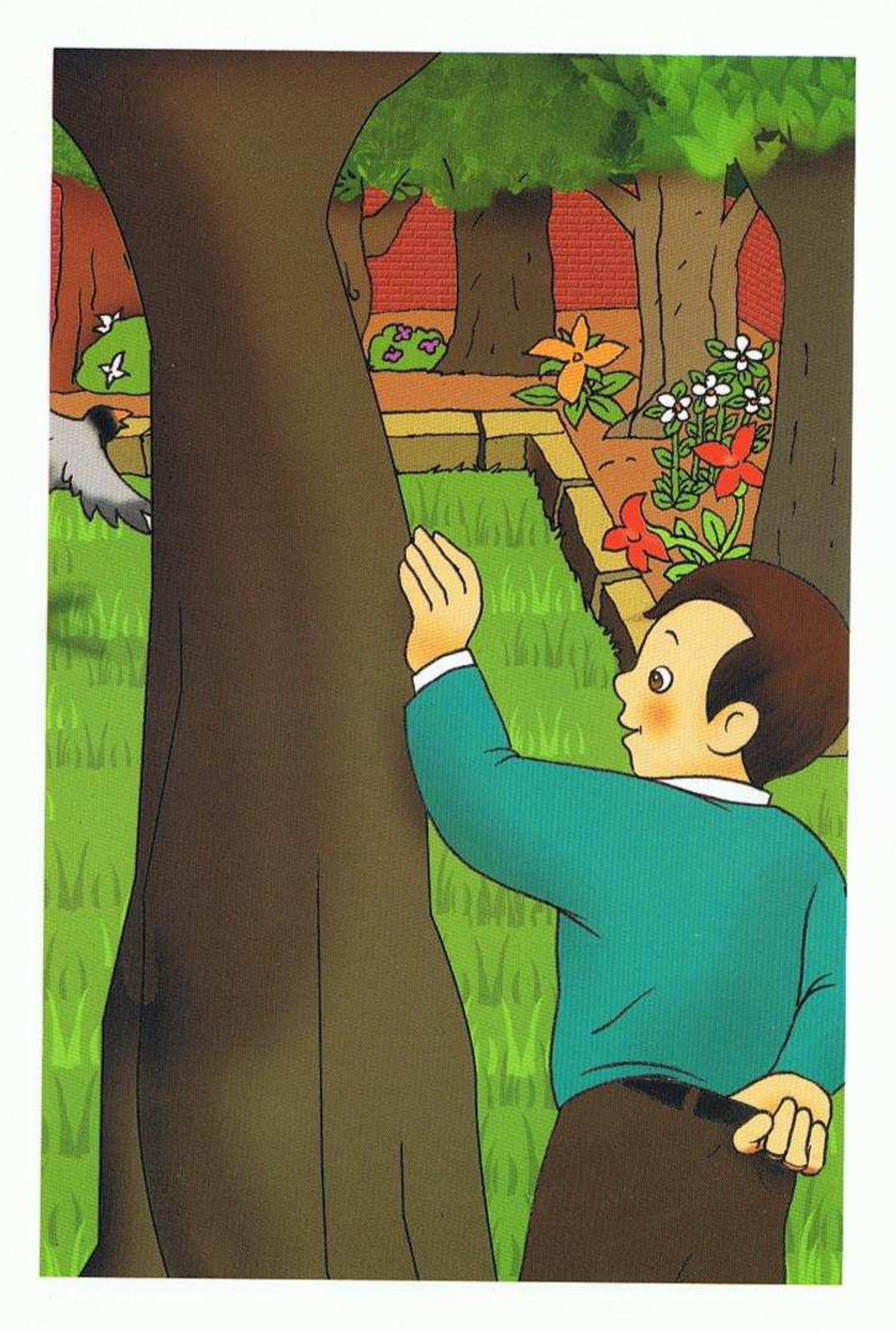
تقدَّمتُ من ناجي، وهززْتُهُ من كَتِفَيْهِ وسألتُ: لماذا لم تَقْذِفِ الكُرةَ مع ما قَذفتَهُ من تُفّاحٍ إلى الملعبِ؟

وتلقَّيتُ من ناجي الجوابَ إياه الّذي نَطَقَ بهِ حسّان وحازم من قبل: الكرةُ غيرُ موجودةٍ في الحديقةِ.

لا يمكنُ أن يكونَ هذا صحيحاً. فالكُرةُ موجودَةٌ بالتّأكيدِ في الحديقةِ. لقد شاهدْتُها أنا، كما شاهدَها الجميعُ، تَسقُطُ هناكَ.

وأحْسَسْتُ برغبةٍ قويَّةٍ في أنْ أذْهَبَ وأكْتَشِفَ حقيقةَ الأمرِ بنَفْسي، فاتجهتُ نحو السّورِ، وعِندما رُحْتُ أتسلَّقُهُ دوَّتْ خَلْفي عاصفةٌ مِنَ التَّصفيقِ لم أفهمْ سَبَبَها.. هل يُصفِّقُ التّلاميذُ لي لاعْتِقادِهِم بأنّني سأجيءُ بالكرةِ، أو يصفِّقون لِظنِّهم أنّني سأجيءُ بالمَزيدِ منَ التّفاحِ؟

كانَ مَنظرُ الحديقةِ مِنَ الدّاخلِ ساحراً حقّاً، فأشجارُ التُّفاحِ والرُّمانِ تنوءُ بِثِقْلِ ما تحمِلُهُ من الثِّمارِ، والهُدوءُ يخيِّمُ على المكانِ، وتلوحُ هنا وهناك، بعضُ العصافيرِ التي تَطيرُ من شجرةٍ إلى أخرى، أو تَقعُ على الأرضِ وتَفْحَصُ التُّرابَ بمناقيرِها. ويَشُقُّ الحديقةَ مِنْ وَسَطِها مجرى ماءٍ صغير، تَحْتَشِدُ على جانِبَيْهِ الأعشابُ الكثيفةُ، والزّهورُ الباهرةُ الألوانِ.



البيتُ الّذي يُقيمُ فيهِ أصحابُ الحديقةِ كانَ مُقْفَلَ الأبوابِ والنّوافذِ، وعلى حافَّةِ بركةِ الماءِ التي تَقومُ أمامَ البيتِ، كانَتْ تَقِفُ قطةٌ سوداءُ، وتُراقِبُني بحذَرٍ.

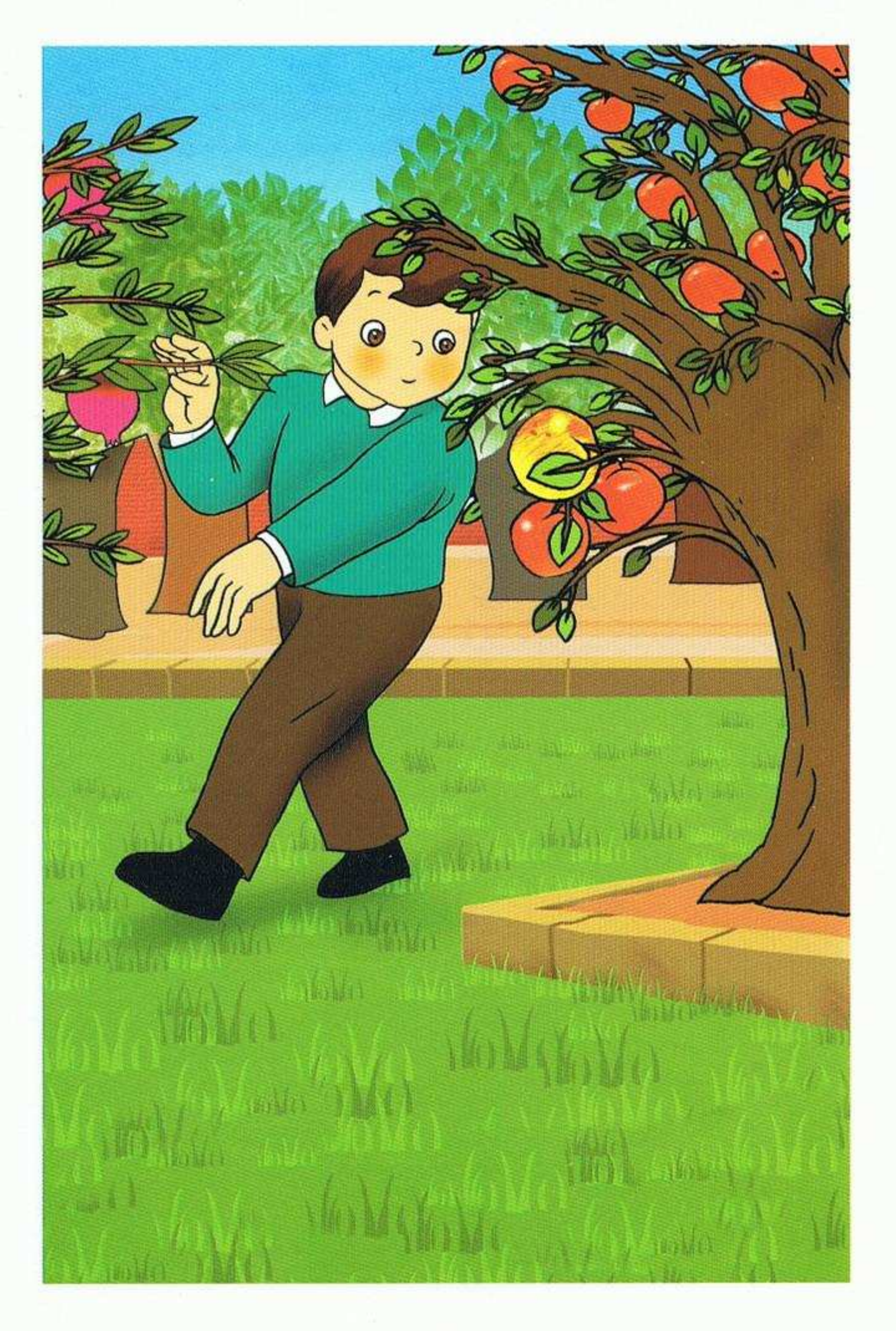
كِدْتُ أنسى، أمامَ هذا المشهدِ الخَلاّبِ، المُهمَّةَ الَّتي جِئْتُ مِنْ أَجْلِها، وعِندَما انتبهتُ لِذلكَ.. أسرَعْتُ في البَحْثِ عَنِ الكُرَةِ، فَوجدتُها عالِقةً بينَ أغصانِ إحدى أشجارِ الرّمانِ، فاسْتخرجْتُها مِنْ هُناكَ، وقَذفْتُ بها في الهواءِ باتِّجاهِ ملعبِ المدرسةِ.

توقَّعتُ أنْ أسمعَ تصفيقاً يأتي من جهةِ الملعبِ، فلمْ يَصِلْني مِنْ هناكَ غيرُ الصَّمتِ، فَفَهِمتُ عندَ ذلكَ أنَّ التَّصفيقَ الَّذي واكَبَني أثناءَ دُخولي إلى الحديقةِ، هو من عُشّاقِ التُّفاحِ لا من عُشّاقِ اللَّعِبِ!

ألقيتُ نظرةً أخيرةً على الحديقةِ الجميلةِ، ثُمَّ جَرَيْتُ باتِّجاهِ السّورِ الَّذي يفصلُ بينها وبينَ ملعبِ المدرسةِ.

وأثناءَ مروري تحتَ إحدى شُجَيْراتِ التُّفاحِ، اعترضَ وَجْهي غُصنٌ مُتَدلٍّ نحو الأرضِ، وقد برزَتْ في طَرفِهِ ثلاثُ تفاحاتٍ لم أرَ أجملَ وأبهى منها في كلِّ ما شاهدْتُهُ من تفّاحٍ في الجنائنِ وفي الأسواقِ.

كانَتْ الكبيرةُ منها تحتلُّ قِمَّةَ الغُصنِ، وكانَتْ تتميَّزُ عن أُخْتَيْها بلونِها الأصفرِ السّاطعِ الَّذي تُوَشِّحُهُ حُمْرَةٌ شاحِبَةٌ، تَتَخَلَّلُها ثلاثُ نقاطٍ قِرْمِزيَّةِ اللّونِ.



وبَدَتْ لي هذهِ التُّفاحةُ وكأنَّها تَدْعوني لِقِطافِها..

هَمَمْتُ بِقَطْفِها، فَشَعَرْتُ وكأنَّ قوّةً أمسكتْ يدي ومَنَعَتْني من ذلك. فالتّفاحةُ لَيْسَتْ لي، ولا يَحُقُّ لي أنْ أقطُفَها.

ووجَدْتُ نَفْسي أبتعدُ عن غُصنِ التّفاحِ، بلْ أُحاذِر أنْ ألْمُسَهُ أو أَحْتَكَّ به، وأنا أَتَّجِهُ من جديدٍ نَحوَ سورِ الحديقةِ.

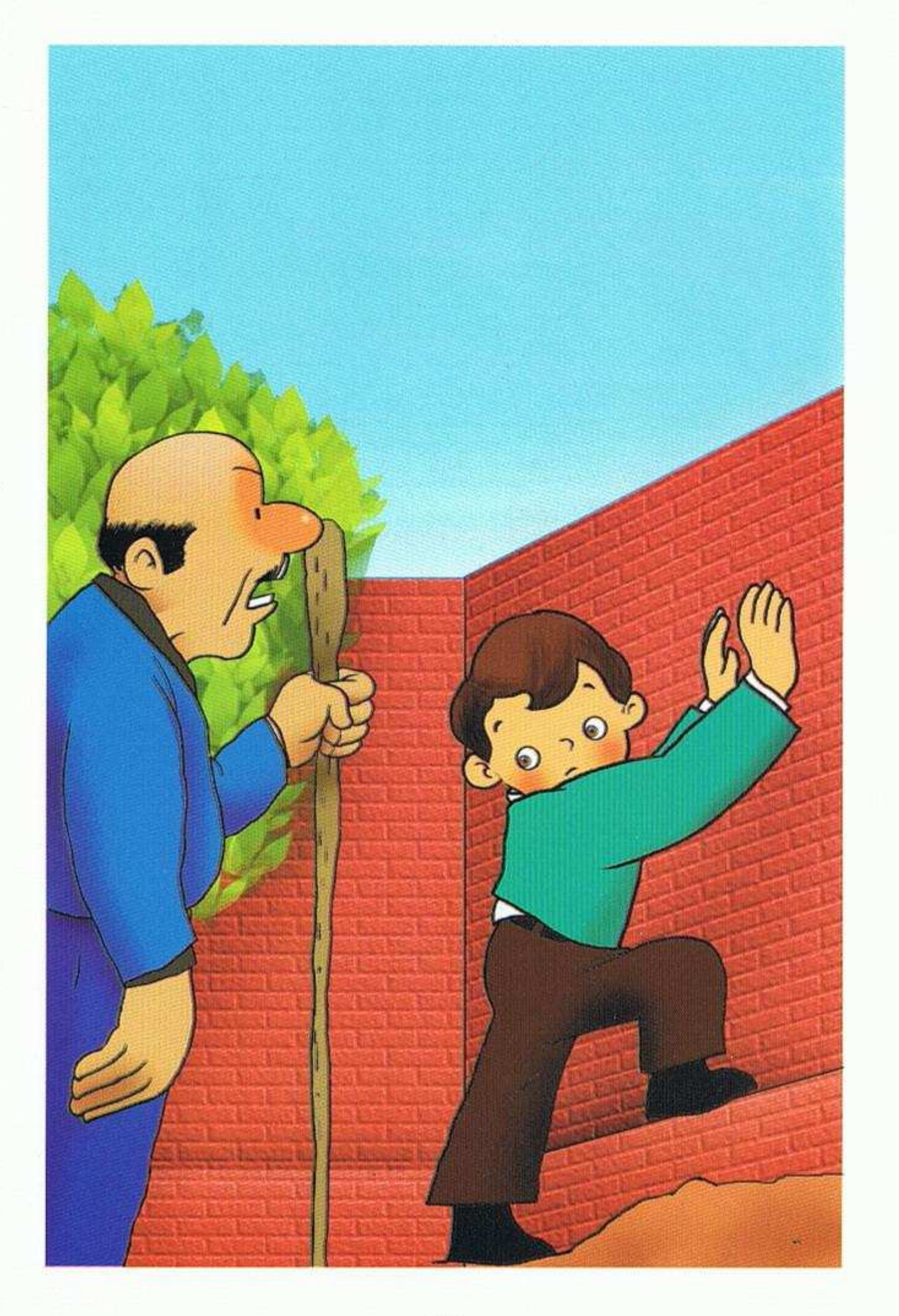
ولَمْ أكَدْ أبلُغُ السّورَ، وأهِمُّ باعْتِلائِهِ، حتّى سَمِعْتُ صوتاً من خَلفي، كانَ له في أُذُنيَّ وَقْعُ قُنبلةٍ تنفجرُ: **قِفْ مكانَكَ!**.

كانَ الصَّوتُ صوتَ رجلٍ كبيرٍ، ولم أَشُكَّ أنَّ هذا الرجلَ هو صاحبُ الحديقةِ!

هلْ أهربُ أم أَقِفُ وأَستجيبُ لِما أَمَرَني به الصَّوتُ؟

شعرتُ بقدَمَيَّ تتسمرّانِ في مكانِهما. والتفَتُّ إلى الوراءِ، فَشاهدْتُ رجلاً كبيراً يتقدَّمُ نحوي بِوَجهٍ غاضبٍ، وبِعَينينِ يَتطايرُ مِنْهما الشَّرَرُ.

كانَ الرَّجلُ يحْمِلُ بيدِهِ عصا غليظةً، وأحسستُ بِرُعبٍ كبيرٍ عندما فكّرتُ بأنّهُ قَدْ يَضرِبُني بِها!



ولعلَّ الرَّجُلَ أدركَ ما أُحِسُّ بهِ، فسألَني بِصوتٍ هادئ: ماذا تفعلُ هنا؟

ـ أتيتُ لآخذَ الكُرةَ.

ـ أينَ الكرةَ؟

ـ قذفتُ بِها إلى الملعبِ.

ـ أَلَمْ تَقذفْ بِالتّفاحِ أيضاً إلى الملعبِ؟

ـ لا.

ـ بلى.. لقدْ شاهدَ أكْثَرُ مِنْ شَخْصٍ التّفاحَ يَطيرُ من الحديقةِ بِاتِّجاهِ الملعبِ. فهلْ يُعْقَلُ أنْ تكونَ التّفاحاتُ فَعلتْ ذلكَ مِنْ تِلقاءِ نفسِها؟!

ـ لستُ أنا الفاعلُ.

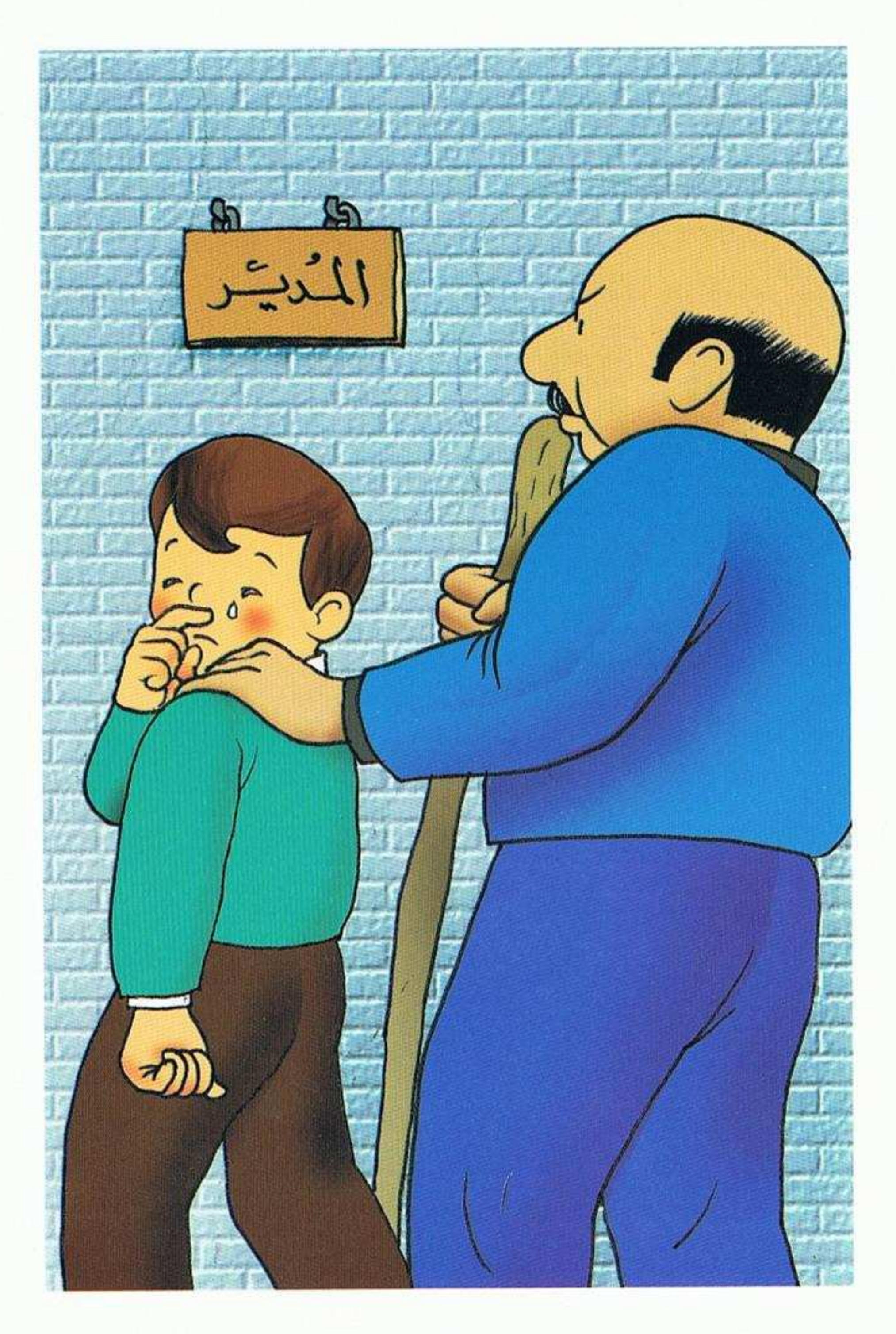
ـ ومَنْ فعلَ ذلك إذاً؟

– صدِّقني لستُ أنا الفاعل.

عندها وضعَ الرَّجلُ يَدَهُ على كَتفي، وقالَ: تعالَ معي.. سوفَ تدري عندما تواجِهُ مديرَ المدرسةِ.

وقادني نحوَ بابِ الحديقةِ، ثُمَّ مَشى بي وَسَطَ الملعبِ، وأنا أُحِسُّ إحساسَ اللصِّ لحظةَ القَبْضِ عليه، فيلتهِبُ وجهي خوفاً وخَجَلاً.

عِندما وَصَلْنا إلى مكتبِ مديرِ المدرسة، كانَتِ الدُّموعُ قد غَمَرَتْ خَدَّيّ وتسرَّبَتْ عبْرَ شفتيّ، وأَحْسَسْتُ بِطَعْمِها المالحِ على طَرَفِ لساني.



حدثَ في غُرفةِ الإدارةِ استجوابٌ طويلٌ لي. ولحسّان وحازم وناجي، وأكثرَ مِنْ عشرةِ تلاميذٍ آخرين. فاعترفَ الجميعُ بحقيقةِ ما حدثَ. وقد فَهِمَ المديرُ من التّلاميذِ كما فَهِمَ صاحبُ الحديقةِ، أنّني لَمْ أقطُفْ تُفّاحاً مِنَ الحديقةِ، وأنّني لو لم أقُمْ بِما قُمْتُ به، لاستمرَّ غزوُ الحديقةِ من قِبَلِ التّلاميذِ، ولخسِرَ صاحِبُها المزيدَ من التُّفاحِ.

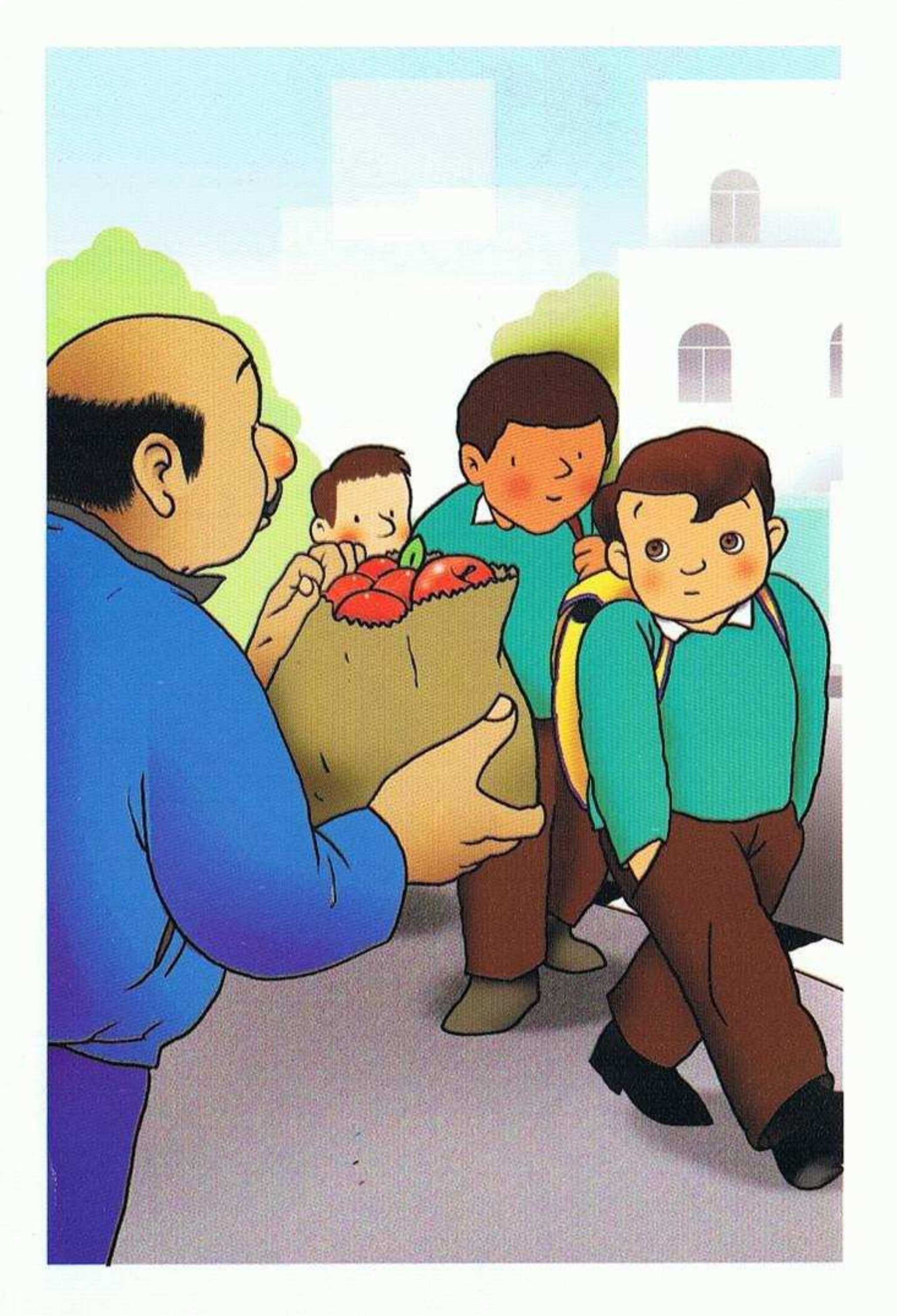
استَبْقى المديرُ حساناً وحازماً وناجي في غُرفةِ الإدارةِ، وطلبَ منّي الانصرافَ، فَركضْتُ إلى وَسَطِ الملعبِ، وأنا أُحسُّ إحساسَ العُصفورِ السَّجينِ الّذي يُغادرُ القفصَ!

عندَ انصرافِنا مِنَ المدرسةِ في المساءِ، شاهدْتُ صاحِبَ الحديقةِ واقفاً عندَ بَوابةِ المدرسةِ الخارجيّةِ وهو يَحْمِلُ كيساً بيدِهِ، ويتفرّسُ في وجوهِ التّلاميذِ الّذينَ يغادرونَ المدرسةَ، فَظَنَنْتُ أنّهُ يحملُ لي تُهمةً جديدةً، وشَعرتُ بخوفٍ كبيرٍ.

وعِندما وَصَلْتُ إلى قُرْبهِ، فوجئْتُ بهِ يقدِّمُ لي الكيسَ الّذي في يدِهِ، وكانَ مملوءاً بالتّفاحِ، فَرفضتُ أخْذَهُ منْهُ، فألحَّ عليَّ فأخذتُهُ.

وبدأْتُ بتَوْزيعِ التّفاحِ على رفاقي الذين رَفضوا مثلي أن يأكلوا مِنَ التّفاحِ المسروقِ الّذي جاءَ بهِ حسّان وحازم وناجي.

وفي أقلِّ مِنْ دقيقةٍ، كانَ الكيسُ فارغاً إلاّ من تفاحةٍ واحدةٍ، مَكَثَتْ في أسفلِهِ، واحْتَفَظْتُ بها لِنفسي.



استخرجتُ التّفاحةَ مِنَ الكيسِ، نظرْتُ إليها، شعرت أنّها التّفاحةُ الَّتي استوقفني مَشهدُها الجميلُ في الحديقةِ.

كانَتْ صفراءَ مُتألّقةً وموشَّحةً بحُمْرةٍ شاحبةٍ، ومنقَّطَةً بثلاثِ نقاطٍ قرُمزيّةٍ!

عندما نَهَشْتُ التّفاحةَ بأسناني، لم أُحِسَّ فقط بِطعمِها الطيّبِ على لساني، بَلْ أحسَسْتُ أيضاً بالطَّعْمِ الطيّبِ للشيءِ الحلالِ.





التّفاحة

قصة: حسن عبد الله
رسوم: سامر أسامة